رحيل

عزّ الدين المناصرة جرح شخصي مفتوح على التاريخ

عاد إلى الخليل

كتب الشاعر والناقد الفلسطيني (1946 ـ 2021)، الذي رحل أوّل من أمس الأحد، نصوصاً مشبعةً بالروح العربية، حيث بدا فيها اطّلاعه المعمّق على التراث، شعراً وسرداً ومدوّنة شعبية. قرأ تاريخ ثقافته وأعاد إنتاجه ضمن وعيه بالحداثة وأسئلتها

محمود منير

نظر الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة (1946 – 2021)، الذي رحل عن عالمنا أوّل من أمس الأحد في عمّان، متأثراً بإصابته بفيروس كورونا ـ إلى القصيدة بوصفها مَجازاً يكثّف تلك المفارقة بين تراكم حضاري ومعرفي بناه أجداده العرب والكنعانيون، وبين أزمة الفرد الفلسطيني والعربي اليوم في لحظتنا المعاصرة، والذي دخل مرحلة من التيه ولم يزل عالقاً في مآزقها.

كَتب المناصرة قصائده الأولى مجترحاً رؤية وأسلوباً يخصّانه حيث الحفر في جذور التراث ورموزه، ومحاولة إسقاطها على حالة التراجع والتردّي الراهنة، من أجل صوغ هوية ثقافية وانتماء للحضارات المتعاقبة على أرض فلسطين. في الفترة نفسها، التحق بالعمل السياسي كأحد أوائل المنتسبين إلى حركة القوميين العرب، ثم منظّمة التحرير الفلسطينية، كـردّ فعل على هزيمة حزيران/ يونيو 1967.

صوَر شعرية تتداعى لتوصيف ذلك الخراب العميم الذي يصف قلقاً ويأساً يحاصران الحالة العربية. صورٌ تستدعي الذاكرة الشعبية من أغانٍ ومأثورات، والعديد من الرموز الدينية وقصص الأنبياء، وكذلك شخصيات من التاريخ العربي الإسلامي، مثل أبو محجن الثقفي، وطارق بن زياد، والحلاج. وقد ينتقل الشاعر أبعد، نحو الميثولوجيا القديمة، كما في قصيدته «مذكّرات البحر الميت»، التي يقول فيها:

«جدّي كنعان لا يقرأ، إلا الشعر الرصينْ
يلعبُ الشطرنجَ، أحياناً،
يلاعبُ أحفاده، يتشعلقونَ بفرسهِ البيضاءْ
أضِفْ، إلى ذلك... جدّتي
وهي من أصل هكسوسي
لكنها، تزعم أنها نبطيّة
ترعى بقر الوحش في بادية الشام
تكتبُ على القرميد الأحمر، أشعاراً حزينة
تحصد شقائق النعمان، في أول كل ربيع».

غادر المناصرة مسقط رأسه في قرية بني نعيم بالقرب من مدينة الخليل الفلسطينية إلى القاهرة، ليتخرّج في قسم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في جامعتها، وينال دبلوم الدراسات العليا من الجامعة نفسها سنة 1969. سيكمل تحصيله العلمي مع نيله درجة دكتوراه في النقد الحديث والأدب المقارن من «جامعة صوفيا» في بلغاريا عام 1981، ليواصل، في ما بعد، كتابته في النقد والثقافة والفكر، والتي شكّلت مساراً ثانياً في تجربته.

تطوّع المناصرة في صفوف المقاومة العسكرية بالتوازي مع عمله في المجال الثقافي الفلسطيني كمحرّر ثقافي لمجلة «فلسطين الثورة»، وسكرتير تحرير «مجلة شؤون فلسطينية» التابعة لمركز الأبحاث الفلسطيني. كما عايش فترة الاجتياح الإسرائيلي للبنان، حيث كان يعمل مديرَ تحرير لـ«جريدة المعركة»، إلى أن غادرها مع إنهاء دور المقاومة الفلسطينية بعد احتلال بيروت. عكست كتابات المناصرة الشعرية النقدية تشبّعاً بالروح العربية التي توضّحها تشابكاته المتعدّدة واطلاعه المعمّق على إرث يمتدّ لآلاف السنين، شعراً وسرداً ومدوّنة شعبية، يقرأ منها ويعيد إنتاجها ضمن وعيه بالحداثة التي تبدأ بالثقافة وتنتهي بتحضّر المجتمعات وبُنى السلطة. وهو يصف ذلك بقوله: «لا يوجد رمزٌ موروث واحد دون أن يكون لي علاقة به، علاقة شخصية، صلة دم ونسب... إن توظيف الموروث تعبيرٌ عن أزمة عامّة وشخصية وليس انقلاباً من الأزمة المتعاقبة والحاضرة والمستقبلية».

عز الدين المناصرة

وكما برع في مزج العام والشخصي في معظم قصائده، استطاع أن يبثّ سخريته ومفارقاته بقصديّة تجاه العديد من المحطّات والمآسي التراجيدية التي حلّت بفلسطين والعرب، حيث العبث، هنا، موقفُ، والانزياح نحو الهزل حكمةٌ وفضيلة. هكذا، نراه يدّون في قصيدة «حصار قرطاج»:

«يا امرأ القيْس،
ما لي أراك حزيناً صموتْ؟
البلاغةُ ذمَّتُها واسعةْ

> سعى إلى إسقاط التراث ورموزه على العجز العربي الراهن

> تنوّعت إصداراته بين الشعر ونقد الأدب والسينما والتشكيل

يا امرأ القيس
إنْ شئتَ قرطاجَ، لا بُدَّ من شوكها
ولا بُدَّ أن تتعفّر قبلَ الوصولْ
يشدُّ ذراعكَ رملٌ،
يناديكَ نيلْ
يا امرأ القيس إنَّ السَمَوْأَلَ تاجرُ أسلحةٍ،
واسمه صِمُوئيلْ
والبلاغةُ سيفٌ عتيقٌ كسولْ
دمها خَدَرٌ من كحولْ
ودمي من جراح الخليل.
البلاغة ذمّتها واسعة
حبرها طافحٌ في الجرائدِ مثلَ القُروحْ».

حافظ المناصرة على مناقبيّته الأخلاقية وعصاميّته، نائياً بنفسه عن السلطة التي عارضها ورفض الاستسلام لمغرياتها، سواء في رفضه لاتفاقية أوسلو عام 1993، أو في حياته الأكاديمية، وهو الذي سافر إلى الجزائر بعد خروجه من بيروت عام 1982، وأسّس قسم الأدب المقارن في «جامعة قسنطينة» التي عمل أستاذاً فيها بين عامَيْ 1983 و1987. كما ساهم في تأسيس «معهد الثقافات الشعبية» لطلبة الدراسات العليا في «جامعة تلمسان»، وعمل أستاذاً فيها حتى عام 1991. عاد بعد ذلك إلى الأردن وهناك أسّس قسم اللغة العربية في «جامعة القدس المفتوحة»، ودرّس فيها بضع سنوات. وكان له دورٌ، أيضاً، في تأسيس كلية الآداب والفنون بـ«جامعة فيلادلفيا»، التي عمل فيها أستاذاً حتّى تقاعده عام 2017.

خلال تنقّلاته المتعدّدة وعمله الأكاديمي، أصدر المناصرة العديد من الكتب المتخصّصة في النقد والثقافة والفكر، منها «الفن التشكيلي الفلسطيني» (1965)، و«السينما الإسرائيلية في القرن العشرين» (1975)، و«المثاقفة والنقد المقارن» (1988)، و«نظرية الأدب: قراءة مونتاجية في علم الشعريات» (1992)، و«حارس النصّ الشعري» (1993)، و«إشكاليات قصيدة النثر» (1998)، و«لغات الفنون التشكيلية» (2003)، و«الهويات والتعددية اللغوية: قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن» (2004)، و«علم التناصّ والتلاصّ» (2006)، و«الأجناس الأدبية: في ضوء الشعريات المقارنة» (2011)، و«أكبر من دولة فلسطينية، أقل من دولة كنعانية» (2012).

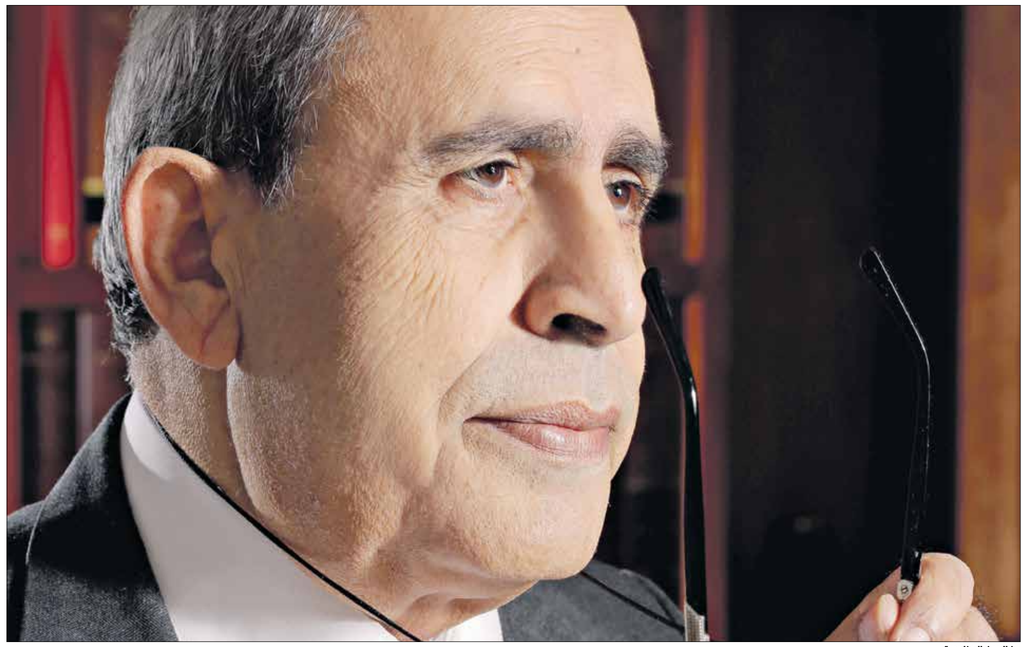

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

منذ كنعان إلى اليوم

إلى جانب كتاباته النقدية والأكاديمية، وعمله الثقافي والسياسي، أصدر صاحب «كنعانياذا» حوالي عشرين مجموعة شعرية، كان من آخرها «لا أثق بطائر الوقواق» (2000)، و«البنات، البنات، البنات» (2009). كما غنّى مطربون عرب عدداً من قصائده التي باتت معروفة، ومن أبرزها «بالأخضر كفّنّاه» و«جفرا» اللتان لحّنهما وغنّاهما مارسيل خليفة، وقصيدة «وكان الصيف موعدنا»، التي لحّنها وأدّاها الموسيقي البحريني خالد الشيخ.

متابعة

ليلة سمّامة الضوّاية ترجمة بصرية ضد الإرهاب وغياب التنمية

فان غوخ بمفردات الفولكلور التونسي

من أحد مجسّمات التظاهرة

عَرضت التظاهرة التي أقيمت أوّل من أمس أعمالاً تستلهم لوحة «ليلة النجوم المضيئة» للفنان الهولندي، بإعادة بنائها بمفردات فولكلور غرب تونس

تونس ـ **ليلى بن صالح**

منذ 2013، مثّلت الجبال التي تقع في المنطقة الحدودية بين تونس والجزائر بؤرة اشتباك بين قوى الأمن والجماعات المتشدّدة، حتى أن أسماء جبال مثل الشعانبي وسمّامة باتت تحيل إلى الخطر الإرهابي حيث لا يجري ذكرها في وسائل الإعلام إلا في سياق صدام المتشدّدين بالدولة. منذ سنوات، جرى إطلاق «المركز الثقافي الجبلي سمّامة» كمحاولة لتغيير صورة هذه المنطقة، وأيضاً من أجل تحريكها ثقافياً، وبات «المركز» يعتبر موقعاً متقدّماً للثقافة في منطقة غابت فيها لعقود السياسات الثقافية، وكل أشكال التنمية. أوّل من أمس الأحد، نظّم «المركز الثقافي الجبلي سمّامة» احتفاليّة بمناسبة ذكرى ميلاد الفنان الهولندي فنسنت فان غوخ (مرّت في 30 آذار/ مارس الماضي) بعنوان «ليلة سمّامة الضوّاية». تقوم فكرة الاحتفالية على استلهام لوحة «ليلة النجوم المضيئة» للفنان الهولندي وإعادة بنائها بمفردات فولكلور المنطقة. بدأ الاشتغال على هذا المشروع منذ ثلاثة أشهر، حيث جرى تجميع عناصر مثل الحلفاء والزرابيّ ومنسوجات الصوف والحصير وتحف الطين وحقائب التريكو والأوشحة، لتركيبها في أعمال تحاكي لوحة فن غوخ.

يشير بيان التظاهرة إلى أن الهدف منه هو «ترجمة عمل فان غوخ حسب خصوصية المنطقة الجبليّة». كما يشير البيان إلى أن المشروع استند إلى منطق الفنان الهولندي في البحث عن الضوء كما يظهر في تحرّكاته في الريف الفرنسي وفي بعض رسائله. نقرأ في إحدى التدوينات الترويجية للمشروع: «جولة فان غوخ في قرى بلجيكا وهولندا وفرنسا تمثّل دعوة خالدة لاستنشاق عطور الأرض... هذا الأحد يحلّ الفنان على سفح جبل سمّامة دعاية للكرّاث والعسلوج وتمجيداً للحلفاء والطين والنحل ذي الطنين».

> تهدف التظاهرة لترجمة لوحة فان غوخ حسب خصوصية المنطقة الجبليّة

شارك في المشروع أكثر من سبعين حرفيّاً تحت إشراف عدنان الهلالي وشيراز بلغيث، وعُرضت الأعمال ضمن مجسّمات يوم الأحد بحضور إعلاميين وسيّاح. وتقام على هامش التظاهرة جولات تعريفية بالآثار الموجودة في المنطقة، ويعود أغلبها إلى العصر الروماني. ولا يخفى هنا الجانب التنموي للتظاهرة، حيث تتيح بناء صورة جديدة عن المنطقة، وكسر وصمها بالإرهاب أو حصرها فيه. كما يقام ضمن التظاهرة «سوق فان غوخ» الذي يجري فيه التعريف بمنتجات أهالي المنطقة القائمة على الاستفادة من مواد الطبيعة، وهي نفس المواد التي جرى الاعتماد عليها في تنفيذ المجسّمات المحاكية للوحة «ليلة النجوم المضيئة».

استفادت «ليلة سمّامة الضوّاية» من دعاية إعلامية مبكّرة، خصوصاً أن التظاهرة سبقتها ببضعة أيام أخبار عن اشتباك بين قوّات الأمن وعناصر متشدّدة في منطقة قريبة من موقع التظاهرة، وكأنّ الأمر كان تذكيراً بذلك «الموقع المتقدّم» الذي ينبغي للثقافة أن تحافظ عليه في منطقة تقع بين فكّي الإرهاب والتنمية المفقودة.

إطلالة

حقّ التساؤل الوجودي بمساحةٍ في السرد

الدين والرواية

من العبث إخلاء الرواية من الدين. لا يعني هذا فرضَه على الرواية، بل أن يكون بحسبانها، بعدم مصادرته مسبقاً في رؤية الكاتب وشخصيّاته

فوّاز حداد

تكاد الرواية العربية تخلو ممّا يُدعى بالحسّ الديني، ليس لغيابه عن مجتمعاتنا، بل لتغييب الروائيين الدينَ عن الرواية. وبات ذلك متعمّداً لنفي الاتهام بالإرهاب، بعد التصاقه بالإسلام . وإن كانت المخاوف منه أقدم من بداية القرن الحالي. ابتداً، إن كانت له بداية قريبة، بمسايرة المدّ الاشتراكي والتقدّمي، ثم العلمانية والديمقراطية، وكأنّها جميعها على عداءٍ معه، مع أنّه لا تَعارض بينها. وحتّى إذا كان هناك تناقض، فبالوسع التعايش معاً، خاصّة أن طرح التساؤلات حوله أكثر من أن تُحصى، وهي تضجّ في الحياة اليومية ويتجاذبها الدُّعاة وأصحاب الفتاوى.

تَعتبر السلطةُ الدينَ منطقةً خطرة، حاولت احتكارها جهاتٌ عدة؛ الدولة، الفقهاء، الدُّعاة، الحركات الجهادية، وأيضاً المحتالون... وكأنّما هو اختصاصٌ وتخصُّص. بينما هو مَشاعٌ كالهواء، على علاقة صميميّة بالبشر، يستمدّ خصوصيّته من التوق الإنساني إلى المعرفة والتكهّن بالمصير. وأكثر ما يُخشى منه إثارة نزاعات لا تخمد، مع أن ما يثيره في الواقع مِن خلافات إنّما هو في تفسيره. ولقد كان للرواية الحقّ في أن تكون فسحة مفتوحة له.

بالعودة إلى الرواية الأوروبية، تعدّد تجلّي الدين مع نشوء الثورة الصناعية، وتمحور حول الخير والشر، فكان العامل الاقتصادي سبب طوفان الشرور، والدين العزاءَ والبلسم. ثم أخذ بالتراجع أمام العقل وهيمنة التنوير، وجرى التعبير عنه بالنزوع إلى الأخلاق، واختُصر إلى شفقة الأغنياء على الفقراء ودور الأيتام والتبرّع لذوي الحاجة، وبات جزءاً من الثقافة البرجوازية، تمترست خلفه الفوارق الطبقية. ثم اندحر أمام طوفان اليسار في العالم، وشكّلت الشيوعية جاذبية قوية مع انتصار الثورة الروسية، وبداية الحلم ببناء مجتمع بلا طبقات، فأصبح الإلحاد سلاحاً ضدّ الدين. ولم يقصّر فرويد في تبيان تأثير الجنس في البشر، وفسّر الدين بأنه بؤرة للعُصاب والوَساوس والهيستيريا. كذلك لم تقصّر الرأسمالية في الإسهام بتهميشه تحت شعاراتها عن الحرية الفردية، فأُبعد الإله، واستُبدل بالمال: الربّ الأوحد؛ ما أفقدَ الدين الحيّز الذي كاد أن يكون له نصيبٌ في الأدب، والأصحّ أنّه طُرد منه.

أصبح الإيمان بالعلم والآلة البديلَ المعتبَر للدين، وقدّم للبشرية ما تصبو إليه من تفاؤل بالكفاية والرفاهية بعدما خلّفت الحروب العالمية فجائع وخراباً، كان لها تأثير كبير في تراجع الدين، هذا إن لم يُحمّل مسؤوليتها.

في الرواية العربية، هيمن التدرّج في إغفال الدين وما يُفترض أن يشكّله من حيز في الرواية، ما جعلها تخسره كإشكال وجودي وفكري وحياتيّ، وما يشكّله من قِيَم كبرى جوهرية، الأمر الذي أفقر الرواية حرّيتها وتفرّدها واستقلاليتها عن المؤثرات السياسية، وما يمكن أن يثير الدين من تعدّد في التفكير والرؤية. صار بوسعنا التكلّم عن الإنسان الأحادي، ما وضع له حدوداً لا يتجاوزها، أدّت إلى تجاهل البُعد الروحي.

مثلاً، ماذا لو كان الاشتراكي مؤمناً؟ هل يتخفّى على إيمانه، أم أنّ بمقدوره تحقيق الانسجام بينهما، أو يلغيه لحساب العدالة الاجتماعية؟ هذا الخيار كان من نصيب العهد الاشتراكي، دار في كواليسه وجرائده، لكنْ ليس بهذه الصراحة الفجّة، إلّا في فروع التحقيق، وكان قاسيا جدّاً. وأصبح في الدولة الشمولية شأناً رئاسياً، تَصْدُر التعليمات حوله من القمّة، سواءً بملاحقة من يصلّي وتسريحه من وظيفته، وربّما إخماد أنفاسه، أو بناء المساجد وانتشار معاهد حفظ القرآن. أمّا العلمانية الوليدة، فكان تعاملها مع الدين ليس حسب العلمانية نفسها، بفصل الدين عن الدولة. فقد بلغ التعلمن حدود التدخّل في تعميم عدم وجود الخالق، والسخرية من الإسلام. أي لم تُفهَم العلمانية، ولم يُسْعَ إلى تفهُّمها، إذ للعلماني ألّا يؤمن، لكن أن يدع الآخرين في إيمانهم، وألّا يُضيّق على ممارسة شعائر دينهم.

(روائي من سورية)

> تُعنى الرواية بشرطنا البشري والدّين جزءٌ منه

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مقطع من عمل لـ لي مايلبي

فعاليات

18 إبريل/ نيسان الجاري هو آخر موعد لاستلام الورقات العلمية لتقييمها وتحكيمها قصد المشاركة في الندوة الفكرية الدولية التي ينظّمها **المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات** بعنوان **الشعبوية: إحراجات نظرية، سياقات الانتشار وتجارب مقارنة**، والتي تقام على ثلاثة أيام بين 20 و22 مايو/ أيار.

بداية من يوم غد الأربعاء، وحتى الجمعة 9 إبريل/ نيسان الجاري، تنظّم **جامعة تونس** ندوة بعنوان **عالم ما بعد الجائحة: مقاربات فلسفية وجمالية** في «مدرج محمود المسعدي» في تونس العاصمة. من الورقات المشاركة: «الليبرالية والأزمة الصحية» لـ عبد العزيز لبيب (الصورة)، و«في إبداعية الجائحة» لـ هادف الظاهري، و«الجائحة و تصوّرات العالم» لـ محمد محسن الزراعي.

في **مركز الفيوم للفنون** في القاهرة، يفتتح في الرابعة من بعد ظهر اليوم المعرض الجماعي **البحث عن زرزورة** الذي يتواصل حتى الـ27 من الشهر الجاري. من المشاركين: عبد الوهاب عبد المحسن، ومحمد عبلة، وخالد السماحي، ووجدي الكومي، وأحمد البنا، وعلياء عرابي، وهبة أبو الفضل، ويوليا بالابانوفا.

حتى 16 مايو/ أيار المقبل، يحتضن **بيت رسومات الصحافة** في مدينة مورج السويسرية معرض **ويليس: من تونس**، وفيه تجمع رسامة الكاركاتير التونسية نادية خياري مجموعة من أعمال تحضر فيها الشخصية المتخيّلة لقطّ يعلّق على التحوّلات والتقلّبات التي عاشتها تونس منذ إسقاط حكم زين العابدين بن علي.